

أبو عثمان سعيد بن حكم

صاحب جزيرة منرقعة

د. محمد دغيم

هو أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبدالعزيز بن حكم القرشي. هكذا ذكره ابن عبد الملك المراكشي في كتابه "الذيل والتكملة"، ونقل ذلك عنه السيوطي في بغية الوعاة^(١). غير أن الغبريني، في كتابه "عنوان الدراية" يذكر خلافاً في ترتيب بعض أسماء أجداد ابن حكم بعد الجد الأول. إذ يذكره ضمن من دخل بجاية من العلماء، على أنه "أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم بن عبد الغني القرشي"^(٢). ويوافق ابن سعيد في كتابه "اختصار القدح المعلى" وكذلك ابن الأبار في "الحلة السيرة"^(٣) ترتيب الغبريني لأسماء آباء ابن حكم، غير أنهما يغفلان ذكر اسم جده الأعلى عبد الغني كما يذكره الغبريني، أو عبد العزيز كما يورده ابن عبد الملك المراكشي، وعنه يأخذ السيوطي. ورغم أن ابن سعيد يعد أقرب المؤرخين من أبي عثمان سعيد بن حكم، لصداقتهما القديمة، وتلقيهما العلم في حلقات الدرس في إشبيلية في زمن واحد، واستمرار صلتهما وتواصلهما بعد أن فرق الزمن والأحداث بينهما، فعاش ابن سعيد في المشرق فترة، ثم استقر في تونس، وانتقل ابن حكم بين مدن شمالي أفريقية، ثم استقراره في جزيرة منرقعة، إلا أن صلتهما لم تفتّر، ومراسلاتهما لم تنقطع، ورغم ذلك فلعل ابن سعيد لم يكمل إتمام سلسلة نسب ابن حكم

وهو يترجم له لبعد الشقة عن تأليفه كتابه القدح المعلى، أو اكتفى بذكره أجداده الأقربين، أو لعل من اختصر كتاب القدح المعلى - الذي وصلنا مختصراً - قد حذف بعضاً من سلسلة هذا النسب.

كان مولد أبي عثمان سعيد بن حكم ليلة السبت سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وستمائة للهجرة^(٤) في طبرية (أو طلبيرة)^(٥) في غرب الأندلس. وكانت وفاته يوم السبت السابع والعشرين من رمضان عام ثمانين وستمائة.

ولا نعرف عن نشأة ابن حكم الكثير. غير أنه يبدو أنه من أسرة مرموقة المكانة، ينتمي أباه إلى قریش، كما ينتمي أخواله بنو عيسى إلى الخزرج. وقد أتاحت له ظروف أسرته أن يتلقى العلم على خيرة علماء عصره، منهم أبو الحسن الدباج (ت ٦٤٦هـ) وأبو علي الشلوبين (ت ٦٤٥هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وأبو القاسم بن يزيد بن بقي (ت ٦٢٥هـ) وأبو الحسن محمد بن محمد بن زرقون والقاضي أبو بكر محمد بن إسماعيل بن خلفون (ت ٦٣٦هـ) والفقيه أبو بكر السقطي (ت ٦٣٦هـ) وأبو الحسن أحمد بن محمد بن السراج الإشبيلي (ت ٦٥٧هـ) والفقيه أبو الحسن علي بن أبي نصر البجائي (٦٥٢هـ)^(٦). وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي علماء آخرين لقبهم في شمالي أفريقية، كما أجازهم علماء من المشرق، منهم أبو الحسن علي بن أحمد القسطلاني^(٧).

وواضح أن بعض هؤلاء العلماء الذين تلقى عنهم كانوا بإشبيلية، مثل أبي علي الشلوبين الذي جلس لتعليم العربية خمسين عاماً أو يزيد، وكان حجة عصره في النحو. وقد ذكر ابن سعيد أن أبا عثمان بن حكم أرسل مقطوعة شعرية إلى أبويه يعبر عن أشواقه إليهما وهو في

المرية "أيام شبابه وارتحاله لنيل المجد وطلابه"^(٨). ثم يورد تسعة أبيات نظمها ابن حكم معبراً عن هذه الأشواق والحنين اللذين تختلج بهما نفسه، وتجيش بهما عواطفه. ولا ندري هل كان ارتحال ابن حكم إلى المرية طلباً للعلم، وهو في ريعان شبابه، أم أنه كان يحتل منصباً أو يطمح إلى منصب يناله، كما يذكر ابن سعيد أبوي ابن حكم بالاحترام والإجلال عندما يدعو لهما بعد هذا التقديم بقوله: "قدس الله ضريحهما". وإن كنا لا نعرف عنهما أو عن مكانتهما العلمية أو السياسية شيئاً. أما أخواله فهم بنو عيسى. وقد تولى أحدهم رئاسة شاطبة. وقد رثاه الشعراء عند مقتله على يدي الباجي. وممن رثاه أبو القاسم أحمد بن يامن (أو يامين) وحزن عليه ابن حكم حزناً شديداً نغص عليه حياته وكدر صفاء عيشه السابغ كما يقول ابن سعيد^(٩).

خرج أبو عثمان سعيد بن حكم من الأندلس، وجال في المغرب في زمن مبكر. إذ يذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه لقي بإفريقية سنة أربع وعشرين وستمائة أبا الحسن علي بن محمد بن إسماعيل.. الميافاريقي، وأخذ عنه بعض منشداته^(١٠). ويروي ابن الأبار أن ابن حكم "كان بإفريقية لما خاف من والي إشبيلية"^(١١). وإن لم يذكر اسم هذا الوالي، أو سبب هذا الخوف الذي دفع بابن حكم إلى أن يرحل إلى إفريقية وهو في ريعان شبابه. كما دخل بجاية وبقي بها مدة كما يذكر الغبريني، ثم انتقل إلى تونس حيث أميرها أبو زكريا الحفصي^(١٢).

ويذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه كتب عن بعض أمراء إفريقية ثم دخل إلى جزيرة ميورقة في أيام أبي يحيى بن أبي عمران التينمالي، ومنها استعمل على مجبى منرقة وأمر الأجناد بها. فدخل إليها في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة^(١٣)، واستقل بها عندما استولى خايمي الأول ملك

قطلونية وأرغون على جزيرة ميورقة سنة سبع وعشرين وستمائة للهجرة^(١٤). وعقد مع خايمي الأول صلحاً ليدراً خطره عن منركة مقابل إتاوة سنوية يدفعها له. ولكن يبدو أن الأمور لم تستتب له إلا بعد أن تغلب على قاضي منركة أبي عبدالله محمد بن أحمد بن هشام، وانفرد ابن حكم بضبط أمور جزيرة منركة اعتباراً من ثاني عيد الفطر سنة إحدى وثلاثين وستمائة. وأخرج ابن هشام وابنه ثم استرجعهما^(١٥). وقد وصف ابن عبدالملك المراكشي ما حدث بأنه فتنة طرأت وانتهت باستيلاء ابن حكم على ثغر منركة وخلصها له. وإن لم يذكر تفاصيل هذه الفتنة.

استطاع ابن حكم بعد أن استقر به المقام في جزيرة منركة وآل إليه أمرها أن يضبط أمورها أحسن ضبط ودارى النصارى ودرأ شرهم بدفع إتاوة سنوية لهم، واشترط مقابل ذلك ألا يدخلها عليه أحد من النصارى. واستمر حكمه للجزيرة أكثر من نصف قرن إلى أن وافته المنية سنة ٦٨٠هـ، كما أسلفنا، وخلفه ابنه أبو عمر حكم الذي حكم إلى سنة ٦٨٦هـ. غير أنه لم يستطع أن يسد الثغرة التي تركها والده، وإن كان يتمتع بخصال عظيمة أثنى عليها المؤرخون، ومنهم ابن الخطيب الذي وصفه بأنه "أفضل من أبيه في دماثة الخلق، والعفة عن الدماء والأبشار، والاجتناب للعظائم، مع حسن الخط ورواية الحديث، وقرض الشعر، إلا أنه لم يستقل استقلال أبيه ولا نهض نهضته"^(١٦).

ولم يتمكن أبو عمر هذا من مداراة النصارى ودرء خطرهم الداهم، فبيتوا النية على غزو جزيرة منركة وتملكها مثلما ملكوا جزيرة ميورقة، وبعدها جزيرة يابسة. وسقطت منركة نهانياً في أيدي ألفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون ووقع اتفاق تسليم الجزيرة في ثالث ذي الحجة سنة ست وثمانين وستمائة. وغادر أبو عمر حكم بن سعيد

جزيرة منرقة، هو وأسرته. وقد ذهب إلى المرية ثم غرناطة، وأقام بها أياماً تحت جراية أميرها، ثم لحق بسبته حيث دفن أبو عمر جثة والده التي حملها معه من جزيرة منرقة. ثم غادرها إلى تونس ولكن المنية وافته بعد أن تعرض المركب الذي يستقله لعاصفة هوجاء، فمات غريقاً وكل من كان معه من أهله. وكان ذلك في سنة ٦٨٦هـ. أو بعدها بعام بأحوال الجزائر^(١٧).

وبذلك طويت هذه الصفحة المشرقة من تاريخ جزيرة منرقة التي حكمها أبو عثمان سعيد بن حكم زهاء نصف قرن بدهائه وحنكته وبسالته، وجعل منها مناراً للعلم وموطناً للعلماء والشعراء كما سنرى. ولا يؤخذ عليه إلا قسوته وشدة في العقاب وسفك الدماء، كما يقول ابن الخطيب الذي يورد مثلاً على ذلك قتله لمن يثبت عليه شرب الخمر، ومناقشته لاعتراض الفقيه ابن مفوز على ذلك واحتجابه بأنه في جزيرة يكثر فيها العنف والناس يشربون ويسكرون فيضيعون الاحتراس ويظهر علينا العدو^(١٨). وعدم اقتناع ابن مفوز بذلك وغضبه لتجاوز ابن حكم أحد حدود شرع الله.

كان أبو عثمان سعيد بن حكم شاعراً كاتباً عالماً. وصفه الغبريني بقوله: "الشيخ الفقيه الأجل الرئيس المكرم المرفع أبو عثمان سعيد بن حكم.. له علم بالعربية والأدب وله نظم ونثر وكتابة مستحسنة وله مشاركة في العلوم وله رواية عالية. وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط.."^(١٩). ووصفه ابن عبد الملك المراكشي، ونقل عنه السيوطي، بأنه: "كان نحويّاً أديباً حسن التصرف في النظم والنثر مشاركاً في الفقه والحديث والرجال، ذا حظ صالح من الطب"^(٢٠) ووصفه المقرئ بقوله: "الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي"^(٢١). ويضيف

ابن عبد الملك المراكشي - وينقل عنه السيوطي - إلى صفاته الجليلة وضبطه لأمر جزيرة منرقة أنه "لا يفتر على النظر في العلم وإفادته واستفادته شغفاً به وتفضيلاً له"^(٢٢). وقد روى عن أبي عثمان سعيد بن حكيم كثيرون: منهم يوسف بن مفوز، وابنه أبو عمر حكيم - الذي خلفه في حكم جزيرة منرقة - ومولاهما أبو محمد عبد الله الرومي، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري (التلمساني)، وأحمد بن الجلاب، وأبو الحكم العادل بن إبراهيم، وأبو علي عمر بن علي بن الشاطبي، وأبو الحسن علي بن يحيى التجيبي المنرقي، وأبو عامر أحمد بن أبي بكر محمد بن محمد بن محرز^(٢٣)، وقد أجاز لأبي محمد عبد الله بن محمد بن الرهان^(٢٤). ولا ندري هل جلس ابن حكم للإقراء والتدريس في فترة من حياته، أم أنه كان يلتقي بالعلماء وطلاب العلم سواء كان في بجاية أو في منرقة أو قبل ذلك في إشبيلية أو في تونس. وقد كان للصفات العظيمة التي تمتع بها ابن حكم من كرم وعلم واحتفاء بالعلماء والأدباء في جزيرة منرقة ما جعل منه محط الأنظار والآمال، ومن جزيرته التي ازدهرت في عهده موطناً آمناً يلجأ إليه الناس خاصة أصدقاءه ومعارفه الذين وفدوا إليه من الأندلس يطلبون رفاًه وينعمون برغد العيش في كنفه، بعد أن تعرضت الأندلس إلى حملات الاسترداد المسيحي، وسقطت مدنها الكبرى والصغرى الواحدة تلو الأخرى بعد أن خسر الموحدون معركة فاصلة سنة ٦٠٩هـ، عرفت بمعركة العقاب، وما تلا ذلك من تفكك لأواصر الدولة الموحدية في الأندلس وتنافس أمراء الدولة الموحدية على السلطة في الأندلس وفي المغرب، ونهوض أمراء محليين اندلسيين يستقلون بإمارات هنا وهناك، ويرسلون بيعاتهم إلى الخليفة في مراكش أو الخليفة العباسي في بغداد أو

الحفصي في تونس، وكان من بين هؤلاء الأمراء زيان بن مردنيش^(٢٥) والمتوكل محمد بن يوسف بن هود^(٢٦) وابن الأحمر^(٢٧). كما قامت زعامات صغرى محلية تدير شؤون المدن تابعين لأحد هؤلاء الأمراء أو يختارهم أهل المدينة تجنباً للفوضى وإنقاذاً لواقع مزر ومستقبل مجهول، ومن هؤلاء أبو مروان الباجي^(٢٨) ثم الحافظ أبو عمر بن الجد^(٢٩) في اشبيلية، وأبو بكر عزيز بن خطاب في مرسية^(٣٠) وأبو الحسين بن عيسى^(٣١) في شاطبة، ثم كان سقوط المدن الكبرى في أيدي النصارى، سقطت قرطبة عام ٦٣٣هـ وسقطت بلنسية عام ٦٣٦هـ وشاطبة عام ٦٤٥هـ وإشبيلية عام ٦٤٦هـ. وكان مقتل ابن هود سنة ٦٣٥هـ على أيدي عامله أبي عبد الله الرميحي في المرية ضربة قاصمة لآمال الأندلسيين المتطلعين إلى الصمود في وجه الغزو المسيحي لمدنهم وقرانهم وأراضيهم. ولم يبق مع منتصف القرن السابع إلا ابن الأحمر الذي أسس ملكه في غرناطة وأحوازها، وخلفه بنوه من بعده على حكمها إلى أن دالت دولتهم بعد ذلك بقرون على أيدي فرديناند وإيزابيلا عام ٨٩٨هـ (١٤٩٢م).

نزع كثير من الأندلسيين في خضم هذه الأحداث منذ بدايات القرن السابع للهجرة إلى شمال إفريقيا: إلى مراكش حيث مركز الخلافة وإلى سبتة حيث عاملها أبو علي الحسن بن خلاص القضاعي البلنسي الذي استصدر ظهيراً (مرسوماً) من الخليفة الموحي الرشيد سنة ٦٣٧هـ يسمح بموجبه للأندلسيين بالإقامة في ربوع دولته ويعددهم بتقديم المساعدات لهم^(٣٢) وكان قبل ابن خلاص عاملاً على سبتة أبو العباس اليانشتي وهو أندلسي أيضاً وقد حكم بين سنتي ٦٣٠هـ و ٦٣٥هـ، حيث عين مكانه ابن خلاص وقد رعى كل منهما

من لجأ إليهما من الأندلسيين، وكان بلاط ابن خلاص يعج بالكتاب والأدباء والعلماء الأندلسيين: منهم أبو المطرف بسن عميرة وابن الجنان وأبو بكر بن البنا وإبراهيم بن سهل. واستمر يحكم سبته إلى أن غادرها بعد وفاة ابنه أبي القاسم غريقاً عام ٦٤٣هـ مع إبراهيم بن سهل حاملاً بيعة والده إلى الخليفة أبي زكريا الحفصي في تونس، فرحل الوالد الحزين أبو علي الحسن بن خلاص متوجهاً إلى تونس، فوافته منيته وهو في طريقه إليها في وهران ودفن ببجاية سنة ٦٤٦هـ^(٢٣). وكانت هناك بجاية التي أمها كثير من علماء الأندلس وفقهائها وأدبائها. وقد احتفظ لنا الغبريني بترجم هؤلاء الأعلام الذين عاشوا في بجاية خلال القرن السابع الهجري، وخصهم بكتاب كامل هو: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية". وكان هناك بلاط أبي زكريا الحفصي ثم ابنه أبي عبيد الله المستنصر من بعده، حيث اجتمع لديهما نخبة من علماء الأندلس المهاجرين إلى تونس، واحتفظ لنا ابن رشيد في رحلته بأسماء وتراجم الكثيرين منهم الذين لقيهم في تونس في تلك الفترة، ومنهم حازم القرطاجني وابن حبيش وابن سعيد وابن الأبار وكثيرون غيرهم^(٢٤). والملاحظ أن هؤلاء الأعلام كانوا ينتقلون بين هذه المدن ناشرين ثقافتهم ناقلين تراثهم العلمي والأدبي. وكان بلاط أبي عثمان سعيد بن حكم في منرقة لا يقل شأناً عن بلاط الخليفة الموحي في مراكش، وأبي زكريا الحفصي وابنه المستنصر في تونس، من حيث احتفاؤه بالعلماء والشعراء والأدباء. وقد أتاح له طول المدة التي قضاها حاكماً لجزيرة منرقة منذ سنة ٦٢٧هـ إلى حين وفاته سنة ٦٨٠هـ والاستقرار الذي نعمت به الجزيرة في عهده أن تشهد جزيرة منرقة ازدهاراً اقتصادياً ونهضة

ثقافية وعلمية رائعة. وقد كان هو نفسه عالماً فقيهاً أديباً شاعراً، اجتمع في بلاطه نخبة صالحة من أهل العلم والأدب، كان منهم أبو عبدالله بن الجنان^(٣٥) وأبو القاسم أحمد بن يامين (أو يامن)^(٣٦) والشاعر إبراهيم بن سهيل وأبو بكر بن العوام الإشبيلي^(٣٧) والأديب أبو الربيع سليمان بن علي عرف بكثير^(٣٨) وأبو العلاء محمد بن علي المرادي المعروف بأبن المرابط مؤلف كتاب "زواهر الفكر وجواهر الفقر" في ثلاثة أسفار جمع فيه ما كان يدور في بلاط ابن حكم من شعر ونثر ومراسلات، وابن عمه القاضي أبو بكر بن المرابط، وأبو عبدالله البري التلمساني الذي ألف كتاباً بعنوان "الجوهرة في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة". وقد ألفه في السجن سنة ٦٤٤هـ، وأهدى منه نسخة بعد ذلك بسنة بخط يده إلى خزانة ابن حكم اعترافاً منه بفضله إذ أخرجه من السجن، وقد كان أسيراً لدى العدو، وافتداه بمال لإطلاق سراحه. وقد كان أبو عثمان سعيد بن حكم، كما كان أبو زكريا الحفصي في تونس، يدفعان فدية كثير ممن يقع أسيراً في أيدي العدو، حتى يفك من الأسر. وقد وصف ابن سعيد صنييع ابن حكم بقوله: "فكم لقيت بأقطار المغرب والمشرق من أديب أو شاعر أو حسيب، خلع عنه ربة الإसार، ونقله إلى قرارة الإسلام من محلة الكفار"^(٣٩). ويذكر ابن سهل أن المركب الذي كان يستقله مزماً الرحلة إلى تونس قد تعرض له مركب للنصارى في الميناء قبل مغادرته فشرع أبو عثمان بن حكم في كوكبة من الفرسان إلى الميناء وأنقذ المركب الذي كان به ابن سهل، ونزل قائد مركب العدو منخذاً ومسلماً على ابن حكم، وعاد ابن سهل مع سيده ابن حكم إلى الجزيرة ومدحه بقصيدة عصماء^(٤٠). ولم تقتصر عطاياه وأفضاله على من كان يحيا في كنفه،

بل كانت تصل إلى أصدفان راسي سريته في مدن المغرب والأندلس، بل وإلى الحجاز كما يذكر ذلك ابن سعيد بقوله: "وما يجب أن يخلد من مكرماته، ويطرز به ذكره من عليّ هماته، أن المجاورين بالحرمين يستعينونه على ما هم بسبيله فيعينهم من اللجين والعين، مما يثلج الجنان ويقر العين"^(٤١). وممن كاتبهم ابن حكم، وهم مقيمون في مدن شمالي إفريقية: سبّته وبجاية وتونس ومدن الأندلس، الكاتب ابن همشك التينملي الذي عاد من الأندلس إلى سبّته عام ستة وثلاثين وستمئة في عهد ابن خلاص البنسي، ثم غادرها بعد وفاة ابن خلاص وأقام في تونس منذ سنة سبع وأربعين وستمئة إلى أن توفي بها سنة ست وخمسين وستمئة^(٤٢). ومنهم صديقه ابن سعيد المقيم في تونس وأبو الربيع سليمان بن علي التينملي المعروف بأبن الغريغر، وكان أيضاً مقيماً بتونس^(٤٣)، وأبو المطرف بن عميرة المخزومي الذي راسله من قابس وبجاية وسبّته ومدحه بقصائده وخصه بكثير من مراسلاته^(٤٤). وممن راسلهم ابن حكم ووصلت عطاياه إليهم من الفقهاء والصالحين ببجاية الفقيه أبو بكر بن محرز الزهري (ت ٦٥٥ هـ) وأبو العباس بن خضر وأبو الحسين الزهري وأبو عبد الله محمد بن ثابت القسنطيني^(٤٥). وقد اهتم ابن حكم بجمع الكتب واقتناء النفيس منها "حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، إذ كان مقصوداً بها من المسلمين والنصارى، فكان يتخدم بها إليه النصارى كما يتقرب بها إليه المسلمون"^(٤٦)، بل قد تولى بعض الكتب له خاصة ليتحف بها مكتبته ويطلع عليها وقد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب، ككتاب "رُوح الشحر وروح الشعر" الذي يذكره المقرئ^(٤٧)، ويبيدي أراءه فيما يقرأ من تآليف وقد يكل أمر تقويم كتاب، إذا لم

يسعفه الوقت، إلى أحد حاشيته من الكتاب والعلماء كما فعل مع ابن يامن في شأن تأليف الفقيه الراوية أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المري التلمساني الذي رفعه إلى خزانته وسماه الجوهرة، وقد قال ابن حكم مخاطباً ابن يامن^(٤٨):

عساك تشقه لثرى منازعه وتختبرا
فإما أن تفهرسه وإما أن تثرى وترا
ولسم أفرغ لأنظره ومنك من كفى النظر

وقد عرف عن الأندلسيين اهتمامهم باقتناء الكتب وإنشاء المكتبات الخاصة، خاصة عند بعض الأسر الموسرة التي تهوى الفرصة لمن يرغب الإفادة من هذه المكتبات التي يتوارثونها كابراً عن كابر، ويعدونها من مفاخرهم^(٤٩). وقد انتقل هذا الاهتمام وذلك المتوارث إلى بعض الأسر التي نزحت من الأندلس إلى المغرب وتونس واحتفظت بمكتبة الأسرة وعملت على تنميتها وطلب النفيس من المخطوطات لتضم إليها إلى يومنا هذا. ومن هذه الأسر صاحبة المكتبات القيمة: آل الكتاني وابن سودة والبنوني في المغرب، وآل النيفر وحسن حسني عبد الوهاب الصمادحي وآل ابن عاشور في تونس، ناهيك عن الأسر الحاكمة سواء في الأندلس أو المغرب أو تونس ولا تزال هذه المكتبات أو ما بقي منها شاهداً على ذلك الاهتمام والحرص على الاحتفاظ بها ككنوز لا يفرط فيها.

كان ابن حكم الشاعر الأديب يقترح على جلسائه من الشعراء النظم في موضوعات معينة تعن له، وهو يلتقي بهم في مجلسه الذي يشبه أن يكون منتدى أدبياً. فمن ذلك ما يرويهِ لنا ابن المرباط عن

طلب ابن حكم إلى القاضي أبي بكر بن المرابط أن يعارض قصيدة علي بن الجهم الرائية التي يقول فيها:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا يدري
وطلبه إلى أبي عبد الله بن الجنان أن يعارض القصيدة ذاتها،
وقد فعل كل منهما ما طلبه ابن حكم منه، وطلبه أن تعارض قصيدة
عمر بن أبي ربيعة التي مطلعها:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

فعارضها الفقيه أبو الحسين بن مفوز بقصيدة تضمنت مدح ابن حكم^(٥٠).

وقد كان ابن حكم نفسه شاعراً احتفظت لنا كتب الأدب التي أرخت لحياته بشيء من شعره. ويذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه "رأى من شعر ابن حكم مجلداً جيداً أشف من ديوان شعر المتنبي بخط ابنه أبي عمر حكم"^(٥١)، وإن لم يصلنا هذا المجلد الذي رآه ابن عبد الملك وأعجب به وقارنه بشعر المتنبي. فقد بلغنا شيء من هذا الشعر سجله صديقه ابن سعيد في كتابه اختصار القدح المعلى، كما احتفظ لنا بقدر أكبر من ذلك معاصره ابن المرابط في كتابه "زواهر الفكر" الذي لم يبق منه إلا السفر الثالث، وقد حوى كثيراً مما كان يدور في بلاط ابن حكم من مساجلات شعرية، أو ما كان يمدحه به شعراء يحيون في كنفه أو يرسلونه من خارج الجزيرة شعراً ونثراً، وما كان ينظمه هو في قصائد مستقلة، أو ما يضمّنه رسائله الإخوانية من مقطوعات شعرية، أو ما ينظمه في مواقف عارضة يصف فيها ما يدور حوله أو يشاهده. وقد وصلنا من شعره ما ينم عن قدرة على الارتجال، كما سنعرض فيما بعد. ويبدو أن ملكته الشعرية أفصححت عن نفسها في

فترة مبكرة من حياته وقد وصلتنا من شعر تلك الفترة مقطوعتان:
إحداهما تسعة أبيات سجلها ابن سعيد في اختصار القدح المعلى، بعث
بها الشاعر إلى أبويه من المرية، يبت فيها شوقه وحنينه إليهما، منها
قوله^(٥٢):

فراق ومسا لي بالفراق يدان إلى الله مما جره الملووان
قضى الله أن أحتل بالشرق برهة وإن كان بالغرب القصي مكاني
ففارقتُه والنفس تأبى فراقه وغادرتُه والشوق حشو جناني
لئن كنتما عن ناظري حُجبتما فإنكما في خاطري ولساني

والأخرى غزلية احتفظ لنا ابن سعيد بها، وهي من سبعة أبيات
نظمها ابن حكم في أيام صباه، وقد مرت به امرأة جميلة كان زوجها
شرطياً، فقال ابن حكم^(٥٣):

وجنّة خازنها مالك يا ليتني كنت لها مالكا
أسجد في محرابها سجدة نسكا ومثلي لم يزل ناسكا
وكيف أرجو القرب منها وقد أضحي حساما لحظها فاتكا
يحرمني من وجنتيها ما بدا روضا غدا من أدمعي ضاحكا
إن أمانى الفتى ضلّسة يمني بها حتى يرى هالكا
من لي بها شمس الضحى أطلعت جنح دجى من شعرها حالكا
سلكت سبل الغي في حبها ولم أكن قبل لها سالكا

وكان الشاعر يميل إلى الارتجال في موضوعات تعن له أو يجد
نفسه في موقف مع جلسائه يصف ما يحدث في ذلك الموقف. فمن ذلك
ما قاله ارتجالاً في قلم تكسر^(٥٤):

لِكْفِي وَتَرَّ عِنْدَ رِجْلِي لِأَنِّهَا أَبَادَتْ رَضِيعَ الْكَفِّ وَاللَّبْنَ الْحَبِيرَ
أَحَارَتْ قُؤَاهُ مَقْوِيَّاتٍ بُوْطْنُهُ وَصَارَ كَسِيرًا مَا لِأَعْظَمِهِ جَبْرَ

كَمَا قَالَ ارْتَجَالًا فِي نَوَارَةٍ بِكَفِّ جَارِيَةٍ حَسَنَاءُ حَدِيثَةِ السِّنِّ (٥٥):
نَوَارَةٌ تَحْمِلُ نَوَارَةً أَبْهَتَنِي أَيُّهُمَا أَبْهَجُ
كَأَنَّهَا فِي كَفِّهَا شَمْعَةٌ خَضِرَاءُ لَكِنْ رَأْسُهَا مَسْرُجُ

وَلَهُ ارْتَجَالًا فِي رِنَسِ الثِّيَابِ (٥٦):
أَعْيَا عَلَى الْغَسَالِ غَسَلَ ثِيَابِهِ وَتَقَاصَرَتْ عَنْهَا يَدُ الْقَصَارِ
وَلَقَدْ طَلَبَتْ لَهَا غَسُولًا جَاهِدًا فَلَمَّا ظَفَرَتْ لَهَا بِغَيْرِ النَّارِ

وَلَهُ فِي مُؤَذِّنِ سَيِّءِ النِّعْمَةِ قَوْلُهُ (٥٧):
لِلْأَيْدِي أَذَانٌ لِلْخَمْسِ فِيهِ هَوَانٌ
مَنْ أَجْلُهُ تَتَلَقَّى آذَانُنَا وَالْبَنِيَانُ

وَقَدْ كَانَ ابْنُ حَكَمٍ يَنْظُمُ فِي مَوْضُوعَاتٍ صَغِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ فِي شَمْعَةٍ (٥٨):
وَصَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ مَا عَلَّةٌ لَهَا أَدْمَعُ أَبَدًا سَائِلُهُ
تَطِيلُ الْوُقُوفُ عَلَى وَاحِدٍ مَدَى لَيْلِهَا فَتَرَى نَاحِلُهُ
تَزِيدُ عَلَى الشَّمْسِ فِي نَوْرِهَا إِذَا مَا غَدَتْ لِلدَّجَى وَاصِلُهُ
تَحَارِبُ دَابَا جِيُوشِ الظُّلَامِ فَتُبْصِرُ مَقْتُولَةَ قَاتِلِهِ

وَلَهُ فِي مُحَبَّرَةٍ عَاجِ مَذْهَبَةِ الْحَلِيَّةِ وَذَكَرَ مَدَادَهَا وَأَقْلَامَهَا (٥٩):
طَلَعَتْ عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ صَبَاحًا وَحَمَّتْهُ بَاحَتُهَا وَكَانَ مَبَاحًا
وَبَنَتْ بَنِيَهُ إِزَاءَهَا وَزَرَأَتْ لَهُ فَلَمَّا نَبَوْ فِي النَّائِبَاتِ سَلَاحًا

وثنت رماحا من نضار فانثنت
فإذا تفرج بابها عنهم عنا
إن الوفاء لخلّة لا تقضها
وقد كتب على حمالة سيفه^(٦٠):

أبشر فقد نلت ما ترجو وتنتظر
وساعدتك على الأيام اربعة
كما قال في ضرس^(٦١):

حبيب أحاذر منه التلاقي
فغيبته سبب للوصال
ومن دونه العيش مر التلاقي
ورؤيته سبب للفراق

كما قال في إبرة^(٦٢):

وما قناة من قناة الهند وفق فعلها
حافرهما ففي علوها
عارية في نفسها كاسية لأهلها
ورأسها ففي سفلها

وأرسل إلى بعض أصدقائه مع خمس من السفرجل^(٦٣):

وجوار خمس كسين اصفرارا
قاسيات وكن للين أهلا
أي عذر في قسوة لعذارى
را وأصبحن في الأكف أسارى
كان ما يلتحفن إلا اغبرارا
اصفرارا، ألم تر الأكرارا
وجل ليلة البدر عاكفات فما أن
من بنات الرياض أمسين أحرا
كن بالبدر عاكفات فما أن
وجل ليلة البدر عاكفات فما أن

ومما قال في وصف المجنّات^(٦٤):

وناعمات على العذاب
من المنسى اللذة العذاب

يعلو احمرار منها ابيضاضا صبغ حياء خدي كعاب

وجلس يوماً متنزها بالبستان بمنزلة ومعه جماعة الطلبة، فقال
مرتجلاً^(٦٥):

ويوم تولى نظم عقد صحابة كرام كسوا وجه الزمان جمالا
أجنهم البستان بين ضلوعه كسر هوى أجنى المحب وصالا

فقال الأديب الفقيه أبو الربيع سليمان بن علي المعروف بكثير:
لقد عم إنعام الرئيس وطوله فعم على شكر المطيل وطالا
أفاد فعالا لا كفاء لمثله ولم يكفه فضلاً فزاد مقالا

كما كان يرسل أصدقاءه شعراً ونثراً، ووصلت مراسلاته إلى أصدقائه
في تونس وبجاية وغيرهما. فمن ذلك ما كتب به إلى ابن سعيد في
تونس مجاباً له^(٦٦):

ما رأينا كعلي بن موسى يستبي بالشعر منا النفوسا
قد أرانسا الشعر سحراً حلالا سائغاً لو نحتسبه كؤوسا
إن أبيات عليّ على الشعر علت حتى تجلت رؤوسا
مثله من طاب جنساً ونفسا إنما يمنح علقاً نفيسا
لا عدناه خيلاً جليلاً نجد الفضل عليه حبيسا

وقد ذيل هذه الأبيات بقطعة من النثر تصور نزعة ابن حكم في
الكتابة، وتمثل أسلوب ذلك العصر من احتفاء الكتاب بالسجع
والمزاوجة وغيرها.

كما كان يخاطب الخليفة الحفصي في تونس شعراً أورد ابن سعيد
نتفاً منه^(٦٧)، كما خاطب صديقه الشاعر ابن يامن شعراً^(٦٨)، وخاطب أبا
الحسن بن مفوز شعراً أيضاً^(٦٩).

وكان يتلقى رسائل إخوانه من مختلف البلاد المغربية، ويجاوبهم
غير متكبر أو متوان. فكان ممن يرسلهم أبو المطرف بن عميرة، إذ
أرسل إليه ابن عميرة مذكراً بصلة الرحم بينهما إذ كلاهما قرشي^(٧٠)؛
فدتك أبا عثمان أنفسنا التي أعنة ذاك الفضل قادت عرابها
وعندي يا ابن العم فيها ألية عرفت يقيناً برها وصوابها
بأن المعالي لو جمعن مسائلاً على الحصر فيها كنت أنت جوابه

ومنهم أيضاً أبو عبد الله محمد بن خطاب الهنتاتي الجباني الذي
اختاره أبو عبد الله بن الأحمر ليتقلد منصباً رفيعاً في دولته في
الأندلس، ثم قدم إلى تونس، ونال فيها خطوة عظيمة. وقد مدح أبو عبد
الله هذا أبا عثمان بن حكم بقصائد منها قوله^(٧١)؛
تفنى الكتاب بيض من قواضيه مفلولة وتشى أقلامه الكتب
فقد أعد حساماً للجلاد به وللجدال لساناً مثله ذرياً
في كفه قلم ماض يريك به أغنى من القضب الهندية القصب
يمضي بما شاء من نفع ومن ضرر في كل خطب له حد الحسام نبا
وله فيه أيضاً^(٧٢)؛

يا رئيساً أرسى بحار علاه فوق هضب من الفخار منيف
قد عداني عن الخطاب اشتغال بأمور من كيد دهر عنيف

وراسل ابن حكم الخليفة الحفصي أبا زكريا في أكثر من مناسبة مادحاً مذكراً رسائله بمقطوعات شعرية أثبت بها ابن سعيد في اختصار القدر المعلى، كما أثبت ابن المرباط في زواهر الفكر رسالة مطولة ذيلها بقصيدة طويلة بعثها إلى أبي عبد الله بن أبي زكريا الحفصي، يهنئه فيها بانتصاره على عميه اللذين ثارا ضده بمواطنة ابن أبي يهرى^(٧٢). وراسل قبله أخاه أبا يحيى بن أبي زكريا^(٧٣). وعندما رزى ابن حكم بوفاة ابنه محمد سنة ٦٤٩هـ رثاه الشعراء، ومنهم أبو القاسم بن يامين وأبو بكر بن المرباط وأبو عبد الله التلمساني^(٧٤). كما رثى الشعراء ابنته التي توفيت وقبلها ابنها. وقد رثاها ابن يامين، واستحسن ابن حكم مراثية ابن يامين هذه، فأتبع كل بيت منها ببيت من نظمه، فالأول مثلاً لأبن يامين والثاني لأبن حكم والثالث لأبن يامين والرابع لأبن حكم وهكذا إلى آخر القصيدة^(٧٥):

غريب لا يزور ولا يزار نأت عنه الأحبة والديار
(يهيم الهم منه بجار جنب وزور الأس عنه له ازورار)
له في القلب نار ليس تخبو وإن كانت تحيط به البحار
(ألم نر أن دمع العين ماء وهل طفيت به للقلب نار)
أجنته منرقعة في حشاها وكان له بشاطبة اشتهار
(ونقل الدهر نقل من محل لآخر إذ حمىاه تدار)

وقد جود ابن حكم في النظم في موضوعات الشعر المختلفة وإن كان يميل إلى الارتجال فيما يعن له من موضوعات أو يصادفه من مواقف. فقد وصف وقد رثى وقد ضمن رسائله مقطوعات شعرية مبتدأ بها أو مختتماً بها رسائله، ومنها الإخوانية. ولكنه لم يمدح

تعليقات ومناقشات ٢٤٩

ما لم ينشر من كتاب مرشد القارئ إلى

تحقيق معالم المقارئ لأبي الأصبغ

السماعي

..... د. حاتم صالح الضامن ٢٥١

مستدرك على كتاب: "المسائل

والأجوبة" لابن قتيبة الدينوري

..... مسروان العطية ٢٥٧

ومحسن خرابة

أخبار جمعية ٢٦٣



مركز تحقيقات تكميلية علوم إسلامية

وقد فقدت الموشحات التي نظمها ابن حكم ولم تصل إلينا، ولعلنا نظفر بها يوماً فيما قد يعثر عليه من مخطوطات لم تر النور بعد، أو يحتفظ بها أصحابها في مكباتهم الخاصة ولم تفهرس أو يعلن عن محتوياتها.

وكما كان أبو عثمان سعيد بن حكم شاعراً كان كاتباً أيضاً. وقد احتفظ لنا ابن سعيد ببعض رسائله الإخوانية، وكذلك ابن المرابط بعدد غير قليل من رسائله القصيرة والمطولة. ويبدو أنه كان في فترة مبكرة من حياته يكتب لأحد ولادة الأندلس، إذ يذكر ابن المرابط أن ابن حكم كتب للرئيس أبي جميل زيان ابن الرئيس أبي الحملات مدافع ابن الرئيس أبي الحجاج بن سعد إلى الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي^(٧٨)، كما كتب عن بعض أمراء إفريقية كما يقول ابن عبد الملك المراكشي "بعد أن غاجر الأندلس قديماً في فتانه"^(٧٩).

أما رسائله التي احتفظ لنا ابن سعيد ببعضها، فمنها رسالة ابن حكم إلى صديقه ابن سعيد مجاباً له شاكراً على هدية ربما تكون كتابين، استهلها ببعض الأبيات التي يقول فيها^(٨٠):

ما رأينا كعلي بن موسى يستبى بالشعر منا النفوسا
قد أراننا الشعر سحرا حلالات سائغاً لو نحتسبه كؤوسا

ثم بعد أن يذكر أبياتاً ثلاثة أخرى يبدأ رسالته النثرية التي تنم عن وده وشوقه وتقديره لابن سعيد وآبائه فيقول: "أمتع الله بك، أيها الولي الكريم، الوفي الصميم، الشريف أباً، المنيف حسباً، وصنع لك، وبلغك أملك، يخصك بالسلام الطيب كثنائك، الصيب كوفائك، مجلك بالحق الواجب، ومحلك من الود بين الترائب، سعيد بن حكم، وقد

وردت الحديقتان الأثيقتان، والروضتان الغضتان، تعبقتان إذا تنتشفتان، وتروقان لما ترمقان، والحسن من مرآهما يسفر، والدجن ينجلي من سناهما إذا يسفر. سبقت أولاهما كالبحري، ونسقت بعد على إثرها الأخرى، فوافتا بالوفاء كله، ونافتا للقاء وكله، وجاءتا خفيفتي المحمل، ولطيفتي المحمل، قد رقتا فراقنا، وشقتا شقة البعاد بعد ما شاقنا، فله مهديهما ومطلعهما نيرتين، لقد أوجب ببرهما حقاً كبيراً، وحمل من شكرهما ما يتقل ثبيراً، والله يتولاه، ويحفظ عليه من الحلي ما أولاه...". ومن طيف ما كتبه نثرا، وذلك ضرب من ضروب التفنن في الكتابة والرياضة العقلية والأدبية، قوله بما يشبه اللغز في الفناز الذي يحمل فيه القنديل^(٨١):

"ما مصقول له رواء، محمول كأنه لواء، معمول على نسب كلها سواء، وما له معقول ففؤاده هواء، وقد نظم نظماً، وما ضم الا عوداً وعظماً، يساير الظلام ويسامر، وينافي الصباح وينافر، ويصادي^(٨٢) الرياح الهوج ويصادر، ومن لم يرد به الليل الدجوي أعيت عليه المصادر أحرف هجائه أربعة، وعلى نير سمانه أرفعه، إن أغرت علة أوله أنرت^(٨٣)، أو بتكت^(٨٤) آخره فتكت، وإن ألقيت ثاني أحرفه ألقيت ما بعض الطوافين هامز لألفه، ولا أعرض منه للثالث القائم، فإن مصحف الباقي بعده سبب المناوح والمآتم^(٨٥). أما تعجبون لهجره الضياء ثم يثمره، ولوصله الظلام وهو ما يزجره، يرضى على النور فضل الذيل، ويعين على ناشئة الليل^(٨٦). وله مثل ذلك لغز في شمع^(٨٧):

"ما جميلة المرأة، صقيلة كالمرآة، منتصبة كالقناة، مرتقبة من الأذان بالعشاء للأداة، مع الاستعمال قريبة الحياة، وعلى العطلة

والإغفال بعيدة الوفاة، منهلة وليست بغمامة، مستقلة ولكن بدعامسة، ومع كونها تهمني بدرر، ترمي بشرر، كأنه ذهب حصل في سلك، أو كأنه سيب ماء وهي منه عصا فلـك" ..

ونكتفي بهذا القدر من هذه القطعة النثرية التي هي لغز في شمعاً أراد بها الكاتب ابن حـكم أن يتفنن فيها كسابقتها ويجعل من موضوعها لغزاً يختبر به قدرته على الكتابة وقدرة القارئ أو السامع على فهم اللغز وإدراك مراد الكاتب.

وهاتان القطعتان مثل رسائله التي أورد ابن سعيد وابن المـرابـط نماذج منها، وأشرنا إليها آنفاً، تعكس طبيعة نثر ذلك العصر، وهو القرن السابع الهجري الذي كان فيه النثر يهتم بالمحسنات البديعية، وفي مقدمتها السجع الذي يأتي سلساً أحياناً، ومتكلفاً أحياناً أخرى، ولا عمق للفكر فيه سوى هذه المقدرة على الكتابة وتطويع الألفاظ لما يريده الكاتب سواء في رسائله الإخوانية أو الديوانية، وينسجم مع تيارات الكتابة النثرية بهذه المحسنات البديعية التي صارت عنواناً على قدرة الكاتب وسمة العصر الذي يحيا فيه، وإن أخفت عجزاً فكرياً وتكراراً للمعاني التي سبقهم كتاب آخرون في عصور الازدهار إليها.

وبعد

فنأمل، ونحن نختم هذا البحث المقتضب، أن قد وفقنا إلى إعطاء لمحة وافية وصورة غير باهتة عن أبي عثمان سعيد بن حـكم، ذي الشخصية الفذة التي جمعت إلى الحزم والسياسة والكياسة قدراً وافراً من العلم والأدب شعراً ونثراً ورعاية وعناية بالعلماء والأدباء في جزيرة منقرقة التي قدر الله لها أن تصارع لمدة نصف قرن في ظل ابن

حكم، وبفضل سياسته، السقوط في أيدي الأعداء بعد أن سقطت اختاها
جزيرتا ميورقة ويايسة في براثن عدو لا يرعى إلا ولا ذمة، وحافظت
هذه الجزيرة الممتعة على المتربصين بها مدة نصف قرن على هويتها
العربية الإسلامية قبل ان يسدل الستار نهائياً على هذا الجزء المشرق
الوضاء من أقطار العالم العربي الإسلامي ممثلاً في إحدى جزر الأندلس
ذلك الفردوس المفقود، والذي يسميه الدكتور حسين مؤنس - متفائلاً -
الفردوس الموعود.

الهوامش

١. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، (بقية القسم الرابع): ٢٨-٢٩ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٥٨٣:١. يتفق ابن رشيد مع هذا الترتيب غير أنه يذكر عبد الغني بدلاً من عبد العزيز.
٢. ابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، ٣٢٩:٢.
٣. الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: ٣٠٣.
٤. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي: ٢٨.
٥. ابن الأبار، الحلة السيرة: ٣١٨:٢.
٦. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٣:٤ الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٦.
٧. السيوطي، بغية الوعاة، ٥٨٣:١.
٨. يذكره ابن سعيد على أنه الطبري (اختصار القدح المعلى: ٢٨) وكذلك يذكره ابن عبد الملك المراكشي (الذيل والتكملة: ٢٩:٤) والمقري التلمساني يذكره أيضاً على أنه من مدينة طبيرة من غرب الأندلس (نفح الطيب ٤: ٤٧٢). أما الحميري في كتابه الروض المعطار (٣٨٧ و ٣٩٥) فلم يتأكد من وجود مدينة طبيرة، وذكر مدينة طلبيرة (٣٩٥) بالتفصيل. وقد أشار الدكتور حسين مؤنس في هامش صفحة ٣١٨ من الحلة السيرة، الجزء الثاني، لابن الأبار إلى وجود مدينتين باسم طبيرة، إحداهما تسمى TAVIERO قرب حدود أسبانيا مع البرتغال، والثانية وتكتب TAVIRA في البرتغال أيضاً وهي مركز إداري في مديرية الغرب ALGARVE وهي على ساحل البحر.
٩. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٢٩:٤ الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٣.
١٠. السيوطي، بغية الوعاة، ٥٨٣:١.
١١. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٢٩:٤ ويذكر أسماء كثير من العلماء الذين أخذ عنهم أو أجازه. أما الغبريني فيذكر بعضهم ثم يقول "وغيرهم ممن يكثر تعدادهم". يذكر ابن رشيد أن أبا محمد الخلاسي وهو من أهل بلنسية وولد بها سنة ٦١٠هـ ثم ارتحل إلى تونس وأقام بها، قد أجاز ابن حكم إجازة عامة، ابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة ٣٢٩:٢.
١٢. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٣٨.
١٣. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى ٥٩، ٦٨ وابن عيسى هذا هو أبو الحسين يحيى بن أبي جعفر أحمد بن عيسى الخزرجي، وينتسب إلى الصحابي الشهير سعد بن

عبادة رضي الله عنه، وقد ترجم له ابن الأبار في الحلة السيرة (٣٠٨-٣٠٢:٢) ترجمة وافية، وذكر أنه ولد بدانية دار آبائه وبها نشأ ثم استوطن بشاطبة وبزغ نجمه فيها وساد وولي أمرها من قبل المتوكل محمد بن يوسف بن هود، ومدحه ابن الأبار (الديوان: ٢٤٩-٢٥١ و ٣٢٣-٣٢٥) وقد كتب ابن يامن مدة عن رئيس شاطبة أبي الحسين بن عيسى، كما كان لأبي الحسين الذي توفي سنة ٦٣٤هـ ابن هو القائد أبو بكر بشاطبة، وقد خرج من شاطبة بعد أن سقطت في أيدي الروم وأوى إلى حصن. وكان ذلك في سنة ٦٤٥هـ، وقد رثاه ابن حكم ونسب إليه ابن المرابط في زواهر الفكر وجواهر الفقر (ورقة ٤٩) الأبيات الثلاثة التي أوردها ابن سعيد في اختصار القدح المعلى (٥٩) على أنها لابن يامن في رثاء ابن عيسى. كما كان هناك قواد آخرون من أسرة بني عيسى ذكر منهم ابن المرابط (زواهر الفكر وجواهر الفقر ورقة ٩٩) إلى جوار أبي بكر هذا أبا عمرو وأبا عمر.

١٠. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٢٩:٤.
١١. ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣١٨:٢.
١٢. الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٣.
١٣. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٠:٤.
١٤. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٨. المغرب في حلى المغرب، ٤٦٧:٢-٤٦٩.
- المقري، نفح الطيب، ٤٦٩:٤-٤٧١.
- خط بعض من أرخ لأبي عثمان سعيد بن حكم بين جزيرتي ميورقة ومنرقة، ولعل ذلك راجع إلى تشابه كتابة الجزيرتين، وهما جزيرتان من جزر ثلاث تقع في غربي البحر الأبيض المتوسط قرب شبه جزيرة إيبيريا، وتعرف بجزر البليار وهي ثلاث جزر: ميورقة وهي الكبرى وتليها منرقة أو (منورقة) وبابسة. أنظر الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، وعصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية.
١٥. ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣١٨:٢.
- وابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٣٠:٤٠-٣١.
١٦. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٦.
١٧. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٧ سيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية ٤٥٨.
١٨. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٥-٢٧٦. توفي ابن مفوز بتونس سنة ٦٦١ هـ، وكان قد أسمع بمنرقة ثم بتونس، ومولده سنة ٥٩٦ هـ، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس (القسم الأول): ١٠.
١٩. الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٤.

٢٠. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٠:٤.
- السيوطي، بغية الوعاة ٥٨٣:١.
٢١. المقرئ، نفح الطيب، ٤٧١:٤.
٢٢. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣١:٤.
- السيوطي، بغية الوعاة، ٥٨٣:١.
٢٣. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٠-٢٩:٤.
٢٤. ابن القاضي، درة الحجال، ٥٩:١.
٢٥. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٢-٢٧٤.
٢٦. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ١٢٨:٢-١٣٠.
٢٧. ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ٣٠-٣٦ وابن الأحمر هو الغالب بالله محمد بن يوسف بن الأحمر الخزرجي الأنصاري مؤسس مملكة غرناطة، وقد حكم بين سنتي ٦٣٥-٦٧١هـ وكان مولده سنة ٥٩١هـ.
٢٨. ابن عذاري، البيان المغرب (القسم الثالث) ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٣٢٢.
٢٩. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ١١٢.
٣٠. ابن عذاري، البيان المغرب ٣٣٨:٤ و ٣٨١، وقد مدحه الشاعر إبراهيم بن سهل بقصائد عدة منشورة في ديوانه.
٣١. ابن الأبار، الحلة السيرا، ٣٠٨:٢-٣١٤ ابن سعيد، اختصار القدح المعلى -١٤٧- ١٤٦ ابن الزبير، صلة الصلة: ١٦٥.
٣٢. ابن الأبار، الحلة السيرا، ٣٠٣:٢-٣٠٨.
٣٣. ابن المراتب، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ١١٥، وبها نص الظهير، وهو من إنشاء أبي المطرف بن عميرة المخزومي.
٣٤. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٩٨ و ١٤٥.
- مجهول، الذخيرة السنية، ٨٠.
٣٥. ابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، ... الجزء الثاني.
٣٦. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة ٣٤٨:٢-٣٥٩.
- الغبريني، عنوان الدراية، ٣٤٩-٣٥٩.
- المقرئ، نفح الطيب، ٤٠٦:٧-٥٠٦.
٣٧. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى ٥٣-٥٩.
- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الأول (القسم الثاني) ٥٢٢-٥٢٤.
- توفي ابن يامن بتونس سنة ٦٦١هـ.
٣٨. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ١٧٩-١٨٠.
٣٩. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ١٨٩.

- الغبريني، عنوان الدراية، ٢٧٩-٢٨١.
- المقري نفح الطيب، ٤٧٣:٤-٤٧٦.
٣٩. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٨.
٤٠. إبراهيم بن سهل، الديوان: ١٣٦.
- ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ١٩٠.
٤١. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى: ٢٨.
٤٢. المصدر نفسه، ٩٨-٩٩ و ١٠٤.
٤٣. المصدر نفسه، ٣٤.
٤٤. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقات ٦١-٧١ و ٧٦-٨٠.
- محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ١٩١٠ و ٢٢٤ و ٢٢٦-٢٢٧.
- يعد كتاب ابن شريفة الذي كان رسالة جامعية قدمت إلى جامعة محمد الخامس نموذجاً للدراسة المستقصية والعمل الدؤوب، وقد شمل كثيراً من جوانب الحياة الأدبية في الأندلس وشمالي إفريقية في النصف الأول من القرن السابع الهجري. طبع الكتاب سنة ١٩٦٦.
٤٥. الغبريني، عنوان الدراية، ٣٠٤.
٤٦. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٣١:٤.
٤٧. المقري، نفح الطيب، ٤٧٢:٤.
٤٨. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ٤٣.
٤٩. ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ٤ جزء ١ ص ٨٥ وما بعدها.
٥٠. ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، الورقتان ٢٨-٢٩.
٥١. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣١:٤.
٥٢. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٣٨.
٥٣. المصدر نفسه، ٣٩.
٥٤. المصدر نفسه، ٣٨.
- أحارت: صيرت. مقويات: متهمة كالدار المتهمة الموحشة.
٥٥. المصدر نفسه، ٣٢.
٥٦. المصدر نفسه، ٣٠.
٥٧. ابن المرابط، زواهر الفكر، الورقة ٤٤.
- ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٣٠.
٥٨. ابن سعيد، المصدر نفسه، ٣٢.
٥٩. المصدر نفسه، ٣٣.

٦٠. المصدر نفسه، ٣٥.
٦١. المصدر نفسه، ٣٣.
٦٢. المصدر نفسه، ٣٣.
٦٣. المصدر نفسه، ٣٣ البراء: ليلة البراء أول ليلة في الشهر.
٦٤. زواهر الفكر وجواهر الفقر، الورقة ٤١. المجنات: نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجيناها، وتقلي بالزيت الطيب، وكانت معروفة في الأندلس وبلاد المغرب.
٦٥. المصدر نفسه، الورقة ٤٤.
٦٦. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٩.
٦٧. المصدر نفسه، ٣٠ و ٢٤ و ٤٠ و ٤١.
٦٨. المصدر نفسه، ٣٧.
٦٩. المصدر نفسه، ٣٥.
٧٠. المصدر نفسه، ٤٩. وقد أورد ابن سعيد لأبي المطرف بن عميرة عدة مقطوعات في مدح ابن حكم. كما احتفظ لنا ابن المرباط في السفر الثالث من زواهر الفكر وجواهر الفقر بكثير من رسائل ابن عميرة التي بعث بها إلى ابن حكم من بجاية وتونس وقابس ومرسية، وكان كل منهما يجمل صاحبه ويثني عليه. (زواهر الفكر: الورقات: ٦٥-٨٢).
٧١. ابن سعيد، المصدر نفسه، ٢٢ وقد أورد ابن المرباط في زواهر الفكر (ورقة ٥١) رد ابن حكم على رسالة ابن خطاب التي أرسلها من المرية شعرا ونثرا وقد أثبت ستة وعشرين بيتا يقول منها:
- إني أرقت لطارق وافاني وهنا فأوهن عقدة الأجفان
حيا فأحيى بعد بعد تحايل إن البعاد هو الممات الثاني
٧٢. ابن سعيد، المصدر نفسه، ٢٥.
٧٣. ابن المرباط، زواهر الفكر وجواهر الفقر الورقات ٥٥-٥٨، والقصيدة طويلة أثبتتها ابن المرباط في الورقتين ٥٨-٥٩.
٧٤. المصدر نفسه، ورقة ٤٥.
٧٥. المصدر نفسه، الورقات ٥٩-٦٤، ٨٢.
٧٦. المصدر نفسه، الورقات ٤٦-٤٨ الأبيات التي بين الأقواس من نظم ابن حكم وقد أورد ابن المرباط القصيدة كاملة وما نظمها ابن حكم منها.
٧٧. ابن سهل، الديوان: الموشحة ١١ ص ٤٤٥.
٧٨. ابن المرباط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ورقة ١٦٤.
٧٩. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٠: ٤.
٨٠. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٢٩. كما يذكر ابن سعيد جزءا من رسالة

لأبن حكم كان قد أرسلها إلى صديقه ابن همشك وذيلها بأبيات من الشعر
(ص ١٠٤) وجزءاً من رسالة أرسلها إلى أمير تونس وقد احتفظ ابن سعيد
بأبيات الشعر التي ختم بها ابن حكم رسالته.

٨١. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ٣٦ ابن المرابط، زواهر الفكر، ورقة ٤٨.

٨٢. يصادي: يمنع.

٨٣. أي حذفت الفاء، وهو أول حروف الكلمة، صار باقي الكلمة "نار".

٨٤. بتكت: قطعت يريد حذف الراء فالباقي بعدها "فنا".

٨٥. يريد تصحيف الراء إلى همزة.

٨٦. ناشئة الليل: ساعاته كلها، وقيل قيامه.

٨٧. ابن سعيد، القدح المعلى، ٣٦-٣٧.

المراجع

- ١- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد
تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٦
التكملة لكتاب الصلة، ج ١-٢، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة ١٩٥٦
كتاب الحلة السيرة، ج ١-٢ تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣
ديوان ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، تونس ١٩٨٥.
- ٢- ابن إدريس، أبو بحر صفوان التجيبي المرسى
زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعده وعلق عليه عبد القادر محداد، بيروت ١٩٨٠.
- ٣- ابن الخطيب، لسان الدين
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١-٤ تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة ١٩٧٥-١٩٧٧
كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال
بيروت، ١٩٥٦.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٤٧هـ.
- ٤- ابن رشيد، أبو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي
ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج ٢
تحقيق محمد الحبيب بالخوجة، تونس ١٩٨٢.
- ٥- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد
صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧.
- ٦- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى
اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٥٩
المغرب في حلى المغرب ج ١-٢ تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٥٥.
- ٧- ابن سهل، إبراهيم
ديوان ابن سهل الاسرائيلي، تحقيق محمد قوبعة، تونس، ١٩٨٥.
- ٨- ابن شريفة، محمد
أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، الرباط، ١٩٦٦.
- ٩- ابن عذرى (المراكشي)

- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب (القسم الثالث) عني بنشره
أمبروس هوبسي مرانده، تطوان ١٩٦٠.
- ١٠- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي
درة الحجال في أسماء الرجال، ج ١، نشر علوش، الرباط ١٩٣٤.
- ١١- ابن المرابط، أبو العلاء محمد بن علي المرادي
زواهر الفكر وجواهر الفقر، مخطوط بمكتبة الأسوريال بإسبانيا، تحت رقم ٥٢٠.
- ١٢- التلمساني، أبو عبدالله
الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة، ج ١-٢ تحقيق محمد
التونجي، الرياض، ١٩٨٣.
- ١٣- التبتكتي، أحمد بابا
نيل لأنتهاج بنطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبدالله الهرامة ج ١-٢ ط.
طرابلس ١٩٨٩م.
- ١٤- الحميري، محمد بن عبد المنعم
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط. ٢ بيروت ١٩٨٤.
- ١٥- ربييرا
المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، مجل معهد
المخطوطات العربية، مجلد ٤ ج ١.
- ١٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن
بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٦٤.
- ١٧- سيسالم، عصام سالم
جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) بيروت ١٩٨٤.
- ١٨- الغبريني، أبو العباس أحمد بن عبدالله
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض
بيروت، ١٩٦٩.
- ١٩- مجهول
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق محمد بن شنب ط. الجزائر ١٩٢٠.
- ٢٠- المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول (القسم الأول والثاني) تحقيق محمد
بن شريفة ط. بيروت (بدون تاريخ).

- بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٤.
- السفر الخامس، (القسمان الأول والثاني) تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٥.
- ٢١- المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج ١-٨، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.